مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية	المجلد 06/ العـــدد02 (2022)، ص ص1067-1076

إسهام أسرة المازوني في ميدان القضاء خلال العهد الزياني

The contribution of the Mazoni family in the judiciary side during the Zianian period.

علي دبلاوي*	أ.د إبراهيم بحاز
جامعة غرداية,كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية, مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية(الجزائر)	جامعة غرداية,كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية, مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية(الجزائر)
Aodeblaoui92@gmail.com	Bahazhistory@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 23./02./2022. **تاريخ القبول: 21../05./2022.**

الملخص:

تُعرف هذه الدراسة بأسرة المازوني، والعصر الذي عاش فيه أفراد هذه الأسرة، وتُبرز مكانتها الاجتماعية، وتَذكُر أهم قضاتها ودورهم وكذلك موقفهم من خطة القضاء والدعوة لإصلاحها خلال الفترة المدروسة.

كما تقدم صورة حول واقع القضاء والقضاة، وكذلك المجتمع، وتبين بعض المظاهر والسلوكيات والانحرافات التي أثرت على خطة القضاء وانعكست سلبا على المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الدولة الزيانية – مازونة – القضاء – أسرة المازوني – القرنين 8و9 هجريين

Abstract:

The present study identifies and defines the Mazoni family and the period in which they lived , showing their social rank and mentions the most prominent judges and their role and attitude from the judiciary and the call to reform it in the mentioned period.

It also presents an image about the reality of the judiciary and judges, as well as society, and shows some of the manifestations, behaviors and deviations that affected the judiciary and negatively affected society

Keywords: : Zianian state – Mazoona – judiciary – Mazoni family – 8th /9th century Hijri (AH)

* علي دبلاوي

1. مقدمة:

لعل من الظواهر التي تلفت انتباه المهتم بتاريخ المغرب الأوسط، وبالضبط في العهد الزياني، ظاهرة البيوتات أو الأسر العلمية، والتي ساهمت عدة عوامل في بروزها، ونشير هنا إلى أن هذه الأسر لم تقتصر على توارث العلم فقط، بل حتى المناصب والخطط الدينية كالقضاء مثلا.

تطرقَت بعض الدراسات لهذه الأسر أو البيوتات العلمية، وذكرت نماذج منها وعرّفت بعدد من أفرادها مثل أسرة العقباني، ابن هدية المقّري وغيرها، ولا شك أن إحصاء هذه الأسر يتطلب عدة دراسات وهذا لتعدد هذه الأسر، وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية التطرق لأسرة علمية أخرى ونبرز دورها في مجال القضاء، وهي أسرة المازوني، فمن هم أشهر أفراد هذه الأسرة؟ وبما امتاز عصرها؟ وكيف كان إسهامها في ميدان القضاء؟

2.التعريف بأسرة المازوني:

1.2. النسب

أجمعت المصادر التي ترجمت لأفراد هذا البيت على نسبته لمغيلة ومن خلال ترجمة الحضيكي للحفيد أبي زكريا: "يحي بن أبي عمران بن عيسى المازوني"(محمد الحضيكي، 2006, 612)، وكذلك كفاية المحتاج لـ: "موسى بن عيسى بن يحي المازوني المغيلي"(أحمد بابا، 2000, 243), نجد أن النسب الأعلى لهذا البيت يتوقف عند الجد يحي المازوني المغيلي الجد الأقرب للحفيد أبو زكريا صاحب الدرر.

وأما مغيلة فقد رفع ابن خلدون نسبها إلى زناتة وذكر إخوتها وفروعها ومضاربها وما كان من أمرها إلى عهده وفي هذا يقول: "مغيلة وهم إخوة مطماطة ولماية, وإخوتهم ملزوزة معدودون منهم, وكذلك دونة وكشانة ولهم افتراق في الوطن وكان منهم جمهوران أحدهما بالمغرب الأوسط عند مصب الشلف في البحر من صوادر مادونة المصر لهذا العهد, ومن ساحلهم أجاز عبد الرحمان الداخل إلى الأندلس بالمنكب, فكان منهم أبو قرة المغيلي الدائن بدين الصفرية من الخوارج ملك أربعين سنة, وكانت بينه وبين أمراء العرب بالقيروان لأول دولة بني العباس ونازل طبنة ....وكان جمهورهم الآخر بالمغرب الأقصى هم الذين تولوا مع أوربة وصدينة القيام بدعوة إدريس بن عبد الله لما لحق بالمغرب"(عبد الرحمان, 2000, 164), يبرز قول عبد الرحمان بن خلدون النشاط السياسي لقبيلة مغيلة في المغربين الأوسط والأقصى وفي مراحل تاريخيه مختلفة.

2.2. المجال

يُرفَع هذا البيت إلى مغيلة نسبا وإلى مازونة مستقرا، فقد كانت هذه الأخيرة حاضنة له، تحدثت العديد من مصادر الرحالة والجغرافيين عن مازونة ونشأتها ووصفها في فترات تاريخيه مختلفة، ونبدأ بما ذكره الإدريسي في القرن السادس الهجري: "مازونة بالمغرب بالقرب من مستغانم على ستة أميال من البحر وهي مدينة بين أجبل ولها مزارع وبساتين وأسواق عامره ولها يوم يجتمع فيه لسوقها أصناف البربر بضروب من الفواكه والألبان والسمن والعسل بها كثير، وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصبا"(محمد الإدريسي، 2002, 272,271)

ونفس الوصف نقله عن الإدريسي صاحب الروض المعطار.(محمد الحميري, 1984, 522), ويبدو أن أوضاع مازونة تغيرت خصوصا مع التحولات التي شهدتها بلاد المغرب الإسلامي بعد انهيار دوله الموحدين والصراع بين الزيانيين وجيرانهم من الحفصيين والمرينيين, وكذلك الحروب الداخلية في الدولة الزيانية سواء تلك التي كانت بين أفراد البيت الزياني أو القبائل الأخرى المعارضة للدولة, ويعبر عن هذه الحالة حسن الوزان بقوله: "مدينه أزلية الرومان حسب قول بعضهم على بعد نحو أربعين ميلا من البحر تمتد على مساحة شاسعة وتحيط بها أسوار متينة لكن دورها قبيحة فقيرة وفيها جامع وبعض مساجد أخرى لقد كانت مدينه متحضرة جدا في القديم, لكنها كثيرا ما تعرضت للتخريب من قبل ملوك تونس تارة ومن قبل الثوار تارة أخرى, وبالتالي من الأعراب حتى أصبحت اليوم قليلة السكان وهم إما نساجون أو فلاحون, وجميعهم تقريبا فقراء, لأن الأعراب يثقلون كواهلهم بالأتاوات" (حسن، 1983, 36)

ويذكر كذلك مارمول كربخال الأصل الروماني للمدينة مستشهدا على ذلك باللوحات وتماثيل الحجر والكتابات اللاتينية المنقوشة ثم يستعرض أسباب خراب المدينة بقوله:"كانت بها منازل دمرتها الحروب ولا سيما تلك الحروب التي ذكرنا أنها كانت بين أقارب ملك تلمسان الذين عاثوا فسادا في عدد مدن هذه الإيالة أما البنايات القائمة فهي حديثة ولا تساوي شيئا ويستثنى من ذلك معبد رائع في المدينة يظهر أنه من بناء الرومان, كان سكانها في الماضي على درجه كبيرة من الغنى لأن بلادهم كثيرة القمح والماشية ولكن العرب الذين يكنون لهم العداء, أذاقوا الويل لأهلها منذ المرة الأخيرة التي فيها المدينة, حتى لم يبق فيها سوى عدد من فقراء النساجين يصنعون المنسوجات القطنية والصوفية, ومع هؤلاء عدد من العمال لا يربحون ما يساوي المقادير التي يجبرون على دفعها لحكام مدينه الجزائر وللعرب مقابل السماح لهم بفلاحة الأرض "(مارمول، 1989, 359)

وإذا كان مارمول كربخال قد أفاد بمعلومات عن المدينة وأحوالها في فترات سابقة وفي عهده إلا أنه يحمل مبالغة في قوله:"إلا أن العرب الذين يكنون لهم العداء" ذلك أن الصراع بين العرب وسكان المدينة، لا يمكن أن نبرئ الإسبان من تأجيجه والعمل على استغلاله لمصالحهم الخاصة من أجل التوسع في بلاد المغرب، وبالتالي نجد أن مارمول كربخال لم يوضح حقيقة هذا الصراع وأسبابه وخلفياته والأطراف التي يخدمها هذا الوضع كون المنطقة كانت تعيش وضعا خاصا تدخلت فيه عدة قوى.

ومع ذلك برزت مازونة كحاضرة ضمن الإطار السياسي الزياني، وتأثرت بتلمسان عاصمة الدولة وبباقي الحواضر المغربية، إذ أن الحدود السياسية وحتى الصراعات لم تكن حاجزا أمام التلاقح الفكري في بلاد المغرب الإسلامي عامة.

3. عصر الأسرة ومميزاته:

1.3. سياسيا

عاش أفراد هذه الأسرة في العهد الزياني بين القرنين 8و9 الهجريين، فالجد كان حيا حتى 791 هجرية والحفيد توفى سنة 883 هـ، ميز العهد الزياني على المستوى السياسي كثرة الاضطرابات والصراع مع المرينيين والحفصيين، ومع ذلك تخللته فترات من الاستقرار السياسي، ويقسم المؤرخون فترة حكم هذه الدولة إلى أدوار ومراحل تاريخية ومن هؤلاء عبد العزيز فيلالي الذي قسمها إلى ثلاثة أدوار هي: دور قيام الدولة، عصر التوسع والاضطراب وإحياء الدولة من جديد، وعصر الهيمنة الأجنبية ومرحلة الضعف.(عبد العزيز,2007, 60,40,13)

أما بوزياني الدراجي فيقسمهما إلى أربعة أدوار: دور النشأة والعنفوان(633هـ-737هـ)، والدور الثاني(749هـ-753هـ)، الدور الثالث(760هـ-791هـ)، الدور لرابع(791هـ-962هـ).(بوزياني,2011, 159, 215, 299)

وقد تتبعت تقسيم بوزياني الدراجي، غير أنني أدرجت دولة أبي حمو موسى الأول وابنه أبي تاشفين في الدور الثاني، وأضفت دولة الأخوين أبي سعيد وأبي ثابت في الدور الثالث، وسنتحدث عن هذه الأدوار الأربعة مختصرة.

1.1.3. الدور الأول: مرحلة النشأة والتأسيس(633-706هـ/1236-1307م)

حكم خلال هذه الفترة ثلاثة حكام، بداية من يغمراسن بن زيان(633-681هـ/1235-1282م) وابنه أبو سعيد(681-703هـ/1282-1303م) وحفيده أبو زيان(703-707هـ/1303-1307م)، وفيه تم إرساء قواعد الدولة وتثبيت أركانها في ظل الاضطراب الداخلي والخارجي.(يحي بن خلدون, 1903, 109,103).

فعلى المستوى الداخلي تم إخضاع وتطويع القبائل المعارضة، سواء الأمازيغية منها أو العربية أما على المستوى الخارجي فقد ميزها الصراع مع الحفصيين، ثم الموحدين والمرينيين فيما بعد وانتهي هذا الدور بالحصار الطويل (698هـ إلى 707هـ). (عبد العزيز, 2007, 29)

2.1.3الدور الثاني: مرحلة التوسع(707-737هـ/1307-1337م)

وهو دور الامتداد الجغرافي، حكم فيه سلطانان أبو حمو موسى الأول(707-718هـ/1307-1318م) وابنه أبي تاشفين(718-737هـ/1318-1337)، لقد عمل السلطان الأول على تحصين تلمسان وتفادي ما وقع أثناء الحصار الطويل، ثم وجه أنظاره إلى الشرق فتوسع على حساب الحفصيين، غير أن انقلاب ابنه عليه ومقتله حال دون إكمال مشروعه، وقد سار خليفته على نهجه في المحافظة على المجال الجغرافي الجديد للدولة، ورغم هذا الامتداد إلا أنها اختفت فجأة بعد موت السلطان أبي تاشفين واحتلال تلمسان من قبل أبي الحسن المريني.(عبد الرحمان, 2000, 107,125), و(عبد العزيز,2007: 26,29).

3.1.3الدور الثالث: مرحلة النهضة(749-791هـ/1348-1389م)

شمل هذا الدور فترة حكم السلطان أبو سعيد عثمان الثاني مع أخيه أبي ثابت (749-753هـ/1348-1352م)، حيث استطاعا بعث الدولة من جديد بعد ضعفها الأول، لكن مدة حكمها لم تدم طويلا، إذ ضعفت للمرة الثانية وتم بعثها على يد السلطان أبي حمو موسى الثاني.(يحي بوعزيز, 2007, 70,72), و(محمد التنسي, 2011, 157,181)

4.1.3الدور الرابع: مرحلة الضعف والانهيار(791-962هـ/1389-1554م)

تميز هذا الدور بتعدد السلاطين وكثرة الاضطرابات، بسبب الحكم وتناوب السيطرة المرينية والحفصية على تلمسان وبداية التحرشات الإسبانية، ختمها ظهور الأتراك وخلع السلطان الحسن بن محمد بن عبد الله الثاني(957-962هـ/1550-1554م) آخر أمراء بني زيان، وإلحاق تلمسان بإيالة الجزائر العثمانية.(عبد العزيز, 2007, 66,79)

2.3ثقافيا:

أما على المستوى الثقافي فقد شجعت السلطة الزيانية العلم والعلماء وهذا منذ عهد مؤسس الدولة يغمراسن بن زيان، وبداية من القرن الثامن هجري ظهرت أولى المدارس الزيانية التي أسسها أبو حمو موسى الأول ثم المدرسة التاشفينية فيما بعد، ومن الحكام الزيانيين الذين

عرفوا بالاهتمام بالعلم وتقريب العلماء وتقليدهم المناصب نجد أبو حمو موسى الثاني وكذلك السلطان المتوكل على الله.(محمد التنسي, 2011, 126,141).

كما برز في هذه الفترة عدد كبير من العلماء والأسر العلمية التي استفادت منها الدولة الزيانية, وبلاد المغرب كافة.(نصر الدين، 2010/2009, 73,87), وكانت أسرة المازوني على علاقة بأفرادها كأسرة العقباني مثلا, وقد حظيت أسرة المازوني بمكانة اجتماعية هامة ويظهر هذا من خلال ما ذكرته المصادر عن أفرادها وكذلك من خلال ما أورده المازوني الحفيد في سؤاله لأبي عبد الله محمد العقباني:" يا سيدي أعرفك أن خاطبا خطب إلي ابنت أخي وهي ثيب فقلت له: ما أحوجك لهذا وأنت لك زوجه بالجزائر ولها دار تسكنها معها والجزائر خير لك من مازونة. فقال: إنما قصدت قربكم والدخول في زمرتكم."(محمد رضا، 2016/2015, 207)

4.قضاة بيت المازوني:

1.4أبو موسى عيسى بن يحي المغيلي:

وهو أول أفراد هذا البيت الذي اشتهر بالفقه والعلم وهذا ما أهله لتولي منصب القضاء, ولا نكاد نجد له ترجمة في المصادر مقارنة بابنه وحفيده باستثناء ما ذكره الونشريسي في تقريظه على الدرر المكنونة في نوازل مازونة بقوله: "الفقيه الإمام القاضي العدل المنعم المبرر المقدس المرحوم أبو موسى سيدي عيسى المغيلي المازوني الو جار"(يحي المازوني, ب, 304 و), وقد ذكره ابنه في قوله :"قال لي أبي عن شيخه القاضي عبد الحق المليانى ممن يعول عليه لمعرفته و دينه" , ولم تذكر المصادر تاريخ ميلاده أو وفاته أو مؤلفاته غير أنه كان حيا حتى 791 هجرية وهذا من خلال ما ذكره ابنه موسى في مقدمة كتابه "قلادة التسجيلات والعقود"(فهيمة، 2019, 527)

2.4أبو عمران موسى بن عيسى بن يحي المازوني:

نشأ وتعلم بمازونة ولا شك أنه تتلمذ على يد والده، وصفته المصادر:"بالفقيه الأجل المدرس المحقق القاضي الأكمل وهو والد صاحب النوازل"(أحمد بابا, 2000, 243)، وقال عنه الونشريسي:" الفقيه الإمام علم الأعلام حامل راية الإسلام القاضي الحسيب الأصل المعلم الحافظ المشاور الهمام والمسند الرّاوية، المرشد صاحب اليد الطولى الراسخة في كل مقام، صاحب التصانيف..... المفتي المفيد أبي عمران سيدي موسى"(يحي المازوني, ب, 304 و)

له مؤلفات عدة منها "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار", وكذلك "المهذب الرائق في تدريب الناشئ من أهل القضاة والوثائق"(عادل، 1980, 281)، و"حلية المسافر", و"قلادة التسجيلات والعقود"(فهيمة، 2019, 525,524)، وكذلك تحليه الذهب في علم القضاء والأدب، توفي في القرن التاسع الهجري. (رفيق، 2018, 15)

3.4أبو زكريا المازوني:

وهو يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المازوني, ترجم له التينبكتي في نيل الابتهاج و كفاية المحتاج :"قضيها الإمام العلامة الفقيه أخذ عن الأئمة الكبار كابن مرزوق الحفيد, وقاسم العقباني وابن زاغو وابن العباس وغيرهم نجب وبرع وألف نوازله المشهورة المفيدة في فتاوي المتأخرين من أهل تونس وبجاية والجزائر و تلمسان وغيرهم في سفرين, ومنه استمد الونشريسي مع نوازل البرزلي فيما يظهر لي وأضاف إليهما ما تيسر من فتاوي أهل فاس والأندلس والله أعلم"(أحمد بابا، 1989, 637) , توفي كما قال الونشريسي: "عام ثلاثة وثمانين وثمان مئة بتلمسان ووصفه بالفقيه الفاضل"(أحمد الونشريسي, 106)

ذكره صاحب البستان باسم يحي بن إدريس, وترجم له الحضيكي في طبقاته, وما ذكره الحضيكي كان نقلا عن التينبكتي.(محمد الحضيكي, 2006, 612), وقال عنه ابن مخلوف في شجرة النور الزكية:" الإمام العلامة العمدة المطالع الحافظ لمسائل المذهب"(محمد بن مخلوف، 2002, 383), ويظهر من خلال ذكره التينبكتي أن معظم مشيخة المازوني من تلمسان كونها حاضرة من حواضر المغربي الإسلامي ومع ذلك لا نشك أن بداية تعليمه الأولى كانت على يد والده فهو سليل أسرة توارثت الفقه و القضاء, واشتهر يحي المازوني بمؤلفه الدرر المكنونة في نوازل مازونة, توفي بتلمسان التي دخلها بطلب من السلطان المتوكل على الله.(يحي المازوني, ب, 304 و)

5.مؤلفات بيت المازوني في ميدان القضاء:

كما أوردنا سابقا أن سلسلة هذا البيت تبدأ من الجد أبي موسى عيسى المغيلي المازوني الذي امتد إشعاعه لابنه وحفيده، وإن كان الجد قد تولى كتابة الوثائق والقضاء فإننا لم نعثر على مؤلف له في هذا المجال رغم كونه ركيزة هذا البيت ومصدر إلهام لأفراد أسرته وهو ما نجده في قول ابنه موسى:" على منوال سيدي الوالد عيسى نسجت، فانه كان مختصرا في كتابته في تمام حسن الحوك، مطبوع السبك وبه تفقهت ... وعليه في كثير من الجزئيات عولت إذ كان يلهمني إليها زمن كتابتي بين يديه"(ملاك، 2020, 806)

ولنا أن نتساءل هل ألف الجد في مجال القضاء؟ فإن كان الجواب بنعم، فما مصير مؤلفاته؟ ثم لماذا لم تذكر هذه المؤلفات من قبل ابنه أو حفيده؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى ألا يمكن أن تكون الوظيفة قد شـــغلت الجد عن التأليف؟ حتى وإن كانت له نية في ذلك, وبالتالي ما كان يطمح إليه الجد قد حققه ابنه موسى, إننا لا نستبعد هذا قياسا مع ما وقع للابن والحفيد , فموسى المازوني كانت له نية ترتيب مؤلف فقهي غير أن المنية حالت دون ذلك, واستطاع ابنه أبو يحي أن يحقق ما أراده والده موسى وأخرج بذلك الدرر المكنونة في نوازل مازونة وهو ما عبر عنه بقوله:" وقد كان اتفق لمولاي الوالد رحمه الله في مدة قضـــائه ما اتفق لي من الالتجاء إلى كتب الأســـئلة للائمه المعاصـــرين له حتى اجتمع له من أجوبتهم جملة وافرة وكان رحمه الله عزم على ترتيبها على أبواب الفقه فاختارته المنية قبل ذلك, فضممت ما كنت جمعت وما جمع مولاي الوالد رحمه الله" (يحي المازوني, أ, 1ظ)

حتى وإن لم يؤلف الجد في هذا المجال، فقد كان مصدر إلهام لأفراد بيته من بعده، حيث أثروا الخزانة الفقهية المالكية المغربية بعدد من المؤلفات في مجال القضاء، ونذكر هنا أن الحصة الأكبر في التأليف كانت لابنه موسى بينما اشتهر حفيده يحي بمؤلفه الوحيد الدرر المكنونة في نوازل مازونة وسنعرض مجموعه من مؤلفات هذا البيت في ميدان القضاء:

1.5المهذب الرائق في تدريب الناشئ من أهل القضاة والوثائق:

يظهر من خلال عنوانه أنه موجه للمتدربين من القضاة والموثقين وقد عالج عدة إشكالات في هذا المجال، منها مجلس القاضي، أرزاق القضاة الترافع للقاضي وجلب البينة للأداء، الحكم على الغائب، كتب القضاة للقضاة، الوصايا الغصب الاستحقاق الأكرية، الصلح التوكيل المزارعة...، وقد تضمن المؤلف تجربة وخبرة صاحبه في ميدان القضاء والتوثيق معتمدا على أراء ومشايخ الفقهاء المالكية. (ملاك، 2020, 813,814)، كما أن هذا المصدر يرسم لنا صورة مجتمع تلك الفترة بمختلف فئاته، قضاة ومفتين وأطباء وحرفيين ومزارعين وغيرهم. (رفيق، 2018, 228).

2.5قلادة التسجيلات والعقود:

وهو أيضا ضمن كتب الأحكام والوثائق، تنوعت محتوياته وتضمن وثائق القيام بالدَّين على الغائب والاعتراف بالنسب، وثائق الوكالات والصدقة والحبس وثائق الطلاق وثائق الحضانة والنكاح، كما أنه مصدر مهم للتاريخ الاجتماعي وواقع العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع المختلفة.(فهيمة، 2019, 529,526).

3.5تحلية الذهب في علم القضاء والأدب:

ويبدو من خلال عنوانه أنه موجه للقضاة، ولا يزال هذا المصدر مخطوطا وتوجد نسخه منه لدى العائلة العثمانية بطولقة ببسكرة، وتوجد دراسة قيد الإنجاز تتناول "الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المغرب الأوسط بين القرنين 8-9هـ/14-15م" من خلال مخطوط "تحلية الذهب في علم القضاء والأدب لأبي عمران موسى المازوني"(https://www.pnst.cerist.dz)

4.5الدرر المكنونة في نوازل مازونة:

ألفه أبو زكريا يحي المازوني مُتمِما بذلك ما أراده والده موسى الذي كان ينوي ترتيب مصنف مرتب على أبواب الفقه، لكن دنو أجله حال دون ذلك، ضم المؤلف قضايا عرضت على القضاة وأحكام صادرة عنهم من مختلف بلاد المغرب الإسلامي، ويقول صاحب المؤلف:" فضمنت ما كنت جمعت وما جمع مولاي الوالد رحمه الله وما وجدته بيدي بعض الخصوم وبيد بعض قضاة بلدنا من أجوبة المتأخرين المتضمنة مسائل العبادات ومسائل العادات.... واقتصرت في جميع ذلك على أجوبة المتأخرين من علماء تونس وبجاية والجزائر وأشياخنا التلمسانيين" (يحي المازوني, أ, 1ظ).

6.بيت المازوني ودعوات الإصلاح القضائي:

كان من نتائج ضعف السلطة الزيانية فساد نُظمها بما في ذلك النظام القضائي وما تبعه, ومن دلائل هذا, عجز السلطة القضائية عن محاسبة الجناة الذين تورطوا في مقتل كاتب السلطان يحي بن خلدون, بل العجيب في الأمر أن ابن السلطان والمرشح لخلافته مع صاحب شرطته كانا ضمن المتورطين في هذه القضية. (عبد الرحمان, 2000, 187), وتورط صاحب الشرطة دليلا واضحا على فساد هذه الخطة التي تعد من ملحقات المنظومة القضائية, بل إن صاحبها يد القاضي الزاجرة للمجرمين.

لم يقتصر فساد المنظومة القضائية على جهاز الشرطة فقط، فقد شمل الحسبة كذلك، وهو ما تحدث عنه العقباني في كتابه "تحفه الناظر" عن الجزارين وممارستهم للغش نتيجة لغفلة وتواطؤ المحتسبين معهم وبرر فعلهم هذا بقوله:" وما ذلك إلا من سوء دينهم وضعف يقينهم وأمنهم العقوبة بولاية من لا يتقي الله ولا يخافه عليهم فيضيع حقوق المسلمين بما يناله .....من رشوة سحت لا يسمن ولا يغني من جوع.... لقد كانت هذه الولاية من أصفى الولايات الشرعية ظاهرا وباطنا إذ هي داخلة في عموم ولاية القاضي..... فلما أُخرجت من دائرة الحق وانفرد بها ضعيف الدين من لا يرقب إلا ولا ذمة في أحد من المؤمنين أدركتها كدورة الظاهر والباطن"(محمد العقباني، 1967, 114).

ومن توابع القضاء الأخرى التي طالها الفساد نجد أيضا كتابة الوثائق:" وكتابة الوثائق... هذه الخطة في بوادينا سامها كل مفلس وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا لهم وتوسطوا في الشفع بها بذوي المناصب السلطانية وأتباعهم وبعجز القضاة عن اصطفاء من يستحق ذلك صفه لغلبة الفساد والاعتضاد بمن لا يؤتمن جانبه فقد النظام لضعف الحكام"(ملاك، 2020, 822,823).

إن اهتمام بيت المازوني بالقضاء والدعوة لإصلاحه يظهر في المؤلفات التي أنتجها أفراد هذا البيت, وإن كان التأليف في ميدان القضاء قد اقتصر على الابن والحفيد فإن هذا لا يلغي دور الجد فكلاهما تعلما الصنعة منه, فكان الجد هو القدوة لابنه وحفيده فيما بعد, تأثر أفراد هذا البيت بما آل إليه واقع القضاء جراء الفساد الذي طال العديد من القضاة وأعوانهم, وبدا تحسُر موسى المازوني واضحا في وصفه للقضاة والشهود في زمنه :"كيف بحثالة أهل وقتنا الذي لحظت قضاته بعين الاحتقار ورمق شهوده بمقلة الاستصغار لجعلهم الخطتين الشريفتين كأنهما عرضة التكسب..... ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم" (فهيمة، 2019, 824).

لم يكتف هذا القاضي بتأسفه على واقع القضاء, بل قدم جملة من الحلول ورأى أن من أسباب استبداد القضاة وجورهم غفلة السلاطين والحكام عنهم, وعدم مراقبتهم أو تفقد أحوالهم إذ يجب على السلطان أن :"يسأل عن أحوال قضاته خصوصا لأنهم الأمناء على الديانات... ويتقدم لمن يشتكى به بما يصلحه من الوعيد", ولا يمكن أن تكون أحكام القاضي نافذة ما لم يستمد قوته من السلطان بدليل أن غياب هيبة السلطان في المناطق البعيدة عن السلطة المركزية قد غابت معها هيبة القاضي وسلطته:" أما البلاد السائبة كبلادنا اليوم وجود القاضي كالعدم لقلة استمداده من السلطان, واستيلاء العرب على الناحية فاختل نظام الشريعة"(ملاك، 2020, 824, 826).

كذلك نجده يدعو إلى عزل من ثبت جوره من القضاة وإلغاء أحكامه، غير أن ذلك صعب التطبيق لاشتراك الفساد بين الناس، وهو بهذا يتساءل من توجد لديه النية والشروط اللازمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتطبيق هذا الإجراء:" من يثبت جوره من القضاة العزل ونبذ أحكامه كلها.... وقد أمات الناس اليوم هذه السنة لحصول الاشتراك في الوصف" (ملاك,827,2020)

تحدث موسى المازوني عن واقع كتابة الوثائق في عهده, وحذر من انتحال الجهال لها, فهذه الوظيفة تفرض على من تقلدها أن يكون ملما بقواعد اللغة العربية المختلفة, كالإملاء والنحو وحسن الخط, فكثيرا ما أدت أخطاء الكُتّاب إلى ضياع الحقوق, ولهذا نبه القضاة إلى حسن اختيار كُتابهم:"عليك بكاتب لبق رشيق ذكي, في شمائله حرارة, تناديه بطرفك من بعيد فيفهم رجع لحظك بالإشارة, ومنها أن يكون حسن الخط لأنه أحد اللسانين وحسنه أحد الفطنتين والخطوط على أنواع وأحسنها ما قرئ ولم يعرض فيه إشكال ولا تصور لأحد في جوفه احتمال, وإن أضاف لحسن الخط إعراب اللفظ كان معززا في بابه ومن كان لسانه في النطق أعلى كان بالإنسانية أولى, فإن اللحن هجنة على الشريف حتى قيل إنه أقبح في الوجه من أثر الجدري, والنحو يزيد في العقل ويثبت المروءة والإكثار من ذلك يوقع في الصدر..." (موسى, 2و).

وفيما يتعلق بالشهود، فقد نبه القضاة إلى التحقيق مع الشهود:" فمن نشك في عدالته الشاهد لأخيه ومولاه وصديقه الملاطف وشريكه في غيرة تجارة ", وأنه يتوجب على القاضي السؤال وفتح تحقيق حول رجوع الشهود عن شهادتهم ومعرفة ملابسات ذلك حيث عاب على قضاة زمانه انتشار هذه الظاهرة:" فنجد الشهود يشهدون ويرجعون ولا يكترثون من ذلك ولا يسألهم القاضي عن سبب رجوعهم"(ملاك، 2020, 830).

وأما الحفيد فيظهر متخوفا ومحذرا غيره من القضاة من استصدار الأحكام بغير علم, ودون المشاورة أو الرجوع إلى أئمة المذهب وأهل الفتوى المشهورين, لأن من الظواهر التي طرأت على المجتمع الزياني عامة كما أشار إلى ذلك والده:" الناس توسعو في هذا العصر فصاروا يفتون ويحكمون من كتب يطالعونها ومن غير رواية, وهو خطر عظيم في الدين وخروج عن القواعد" (ملاك، 2020, 827), فالحفيد عمل

بنصح والده وحذر من الفتوى والحكم من غير المشهور, وهو بذلك يوجه رسالة للقضاة ويظهر هذا في مقدمة كتابه الدرر:" لجأت إلى كتب الأسئلة فيما أشكل علي من نوازل الأحكام متطلبا جوابها من الأئمة الأعلام المتعرضين للفتوى بين الأنام متخوفا مما قال عليه الصلاة والسلام في القضاة الثلاثة الحكام واجتهدت في ذلك علم الله جهدي ولم أتجاسر على تنفيذ حكم في قضيه فيها احتمال وحدي حتى أكون على بصيرة, ذلك كي لا أهلك مع كل هالك" (يحي المازوني, أ, 1ظ)

6. خاتمة:

كان للأسرة المازونية مشروع إصلاحي في ميدان القضاء ويظهر هذا في وجهة نظر موسى المازوني المغيلي، والتي ترجمتها مؤلفاته، وكذلك مؤلف ابنه يحي الدرر المكنونة الذي جمع فيه نوازل متنوعة من أقطار متعددة من بلاد المغرب الإسلامي.

لم يستأثر أفراد هذه الأسرة بالقضاء تورثا بالجاه، بل بالكفاءة العلمية والعدالة، ولم يكن المنصب غاية أفرادها بقدر ما كان همهم إصلاح هذه الخطة التي أثر عليها انتحال الجهال وغير الأكفاء لها.

تأثر أفراد هذه الأسرة بالزخم العلمي والحركة الثقافية في الدولة الزيانية وفي كامل بلاد المغرب الإسلامي, وقد أبرزت مؤلفاتهم التلاقح الفكري بين أقطار المغرب الإسلامي المتعددة.

7. قائمة المراجع:

أحمد بابا, التينبكتي.(2000).كفاية المحتاج.(محمد مطيع، المحرر) المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

أحمد بابا, التينبكتي. (1989). نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ج2).(عبد الحميد عبد الله الهرامة، المحرر).ليبيا: كلية الدعوة الإسلامية.

أحمد, الونشريسي. (2009). وفيات الونشريسي.(محمد بن يوسف القاضي، المحرر).: شركة نوابغ الفكر.

بوزياني, الدراجي. (2011). أدباء وشعراء من تلمسان. الجزائر: دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع.

الحسن, الوزان. (1983). وصف افريقيا (ق2).(محمد الأخضر محمد حاجي، المترجمون) :دار الغرب الإسلامي.

رفيق, خليفي. (2018).مخطوط المهذب الرائق لأبي عمران موسى المازوني, وأهميته التوثيقية في تاريخ المغرب الأوسط أواخر العصر الوسيط,. مجله المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ،(العدد 15).225-245.

عادل, نويهض.(1980). معجم أعلام الجزائر.لبنان: مؤسسه نويهض الثقافيه للتأليف والترجمة والنشر.

عبد الرحمان, بن خلدون. (2000). العبر وديوان المبتدأ والخبر (ج6).(خليل شحادة، المحرر) لبنان: دار الفكر.

عبد الرحمان, بن خلدون. (2000). العبر وديوان المبتدأ والخبر(ج7).(خليل شحادة، المحرر) لبنان: دار الفكر.

عبد العزيز, فيلالي. (2007). تلمسان في العهد الزياني. الجزائر: موفم للنشر والتوزيع.

فهيمة, حناش. (2019). حقوق الطفل في أسرة المغرب الأوسط من خلال مخطوطة قلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود للمازوني.مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.(العدد 2).520-564.

محمد الإدريسي. (2002).نزهة المشتاق.القاهرة، مصر: مكتبه الثقافه الدينيه.

محمد التنسي. (2011). تاريخ بني زيان. (محمود آغا بوعياد، المحرر) الجزائر: موفم للنشر.

محمد, الحضيكي. (2006). طبقات الحضيكي.(احمد بومزكو، المحرر).المغرب:مطبعة النجاح الجديدة.

محمد, الحميري. (1984).الروض المعطار(ط 2). (إحسان عباس، المحرر) بيروت:مكتبة لبنان.

محمد رضا, الكريف.(2016/2015).الدرر المكنون في نوازل مازونة. دراسة وتحقيق لمسائل النكاح والإيلاء واللعان والظهار والعدد والرضاعة والنفقات.أطروحة دكتوراه. غير منشورة.كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية, جامعة أحمد بن بلة-1- وهران.

محمد, العقباني. (1967).تحفه الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر.(علي الشنوفي، المحرر).سوريا:المعهد الثقافي الفرنسي.

محمد, بن مخلوف.(2002).شجره النور الزكية.(عبد المجيد خيالي، المحرر) بيروت، لبنان:دار الكتب العلمية.

مرمول, كربخال. (1989). إفريقيا.(محمد حاجي، المترجمون) الرباط: دار نشر المعرفه.

ملاك, لمين. (2020). قضايا القضاء والتوثيق بمازونة, من خلال مخطوط المهذب الرائق للمغيلي. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.(العدد 2).801-834.

موسى, المغيلي.قلادة التسجيلات والعقود في تصرف القاضي والشهود. مصدر مخطوط.مكتبة العائلة العثمانية بطولقة.

نصر الدين, بن داود. (2010/2009). بيوتات العلماء بتلمسان من القرن7هـ/13م إلى 10هـ/16م.أطروحة دكتوراه.غير منشورة.كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية, جامعة تلمسان.

يحي, بوعزيز.(2007م).تلمسان عاصمة المغرب الأوسط.الجزائر: مطبقة الجيش.

يحي, بن خلدون. (1903). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد وماحازه مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد. مطبعة بيير فونطانا الشرقية.

يحي, المازوني.الدرر المكنونة في نوازل مازونة أ. مصدر مخطوط. زاوية أبي عبد الله البوعبدلي.بطيوة. وهران.

يحي, المازوني.الدرر المكنونة في نوازل مازونة ب. مصدر مخطوط www.alukah.net.

https://www.pnst.cerist.dz